دكّانة عبد الله

من بسطة الصبيّ إلى دكّان الحارة



نبذة عن المؤلف

عبد الله حامد كريشان



وُلد في معان سنة ١٩٥٤، ودرس علم المكتبات بجامعة القاهرة، ثم نال درجة الماجستير. عمل في الشارقة موجّهًا للمكتبات، وأسهم في تأسيس مراكز أطفال الشارقة. وبعد عودته إلى الأردن تولّى إدارة شؤون الطلبة والمكتبة الرئيسية في الجامعة الإسلامية. كتب هذه الخواطر عن أهل معان، وأيام الدراسة والغربة، وما استوقفه من شؤون الناس.

مقدّمة «دكّانة عبد الله»

للدكّان في ذاكرة عبد الله حسابان. يسهل أن تفتح الأوّل فتعدّ ما على الطاولة من بسكوت وراحة، وما اشتراه الصغار من البوشار. أمّا الثاني فيبدأ قبل أن تكون للطاولة غرفة تؤويها. فيه صبيّ يحمل الطوب لصاحبه سليم، وفيه تعب نهار كامل لا يظهر منه شيء في ثمن الحلوى.

ظلّ عبد الله بعد أن كبر يسمّي سليمًا «المعلّم». راق لي أن يبقى اللقب للصبيّ الذي عرف كيف يُبنى الجدار، وحين جلس رفيقه بعد سنين يكتب حكايتهما، بقي سليم في الحكاية صاحب الصنعة. فإذا دخلت الدكّان من باب هذه الحلقات، فتمهّل عند الطاولة. وراءها سرير، وحولها بضاعة، وبين هذا كلّه متّسع لعمرين صغيرين كانا يومئذ يبدآن.



دكانة عبد الله

النشر في المدونة ١٩ يناير ٢٠٢١

ذكريات الستينيات سأكتبها بإذن الله في حلقات

كل يوم جمعة حلقة... أرجو أن تنال إعجابكم



دكانة عبد الله — ذكريات الستينيات — مقدمة

النشر في المدونة ٢١ يناير ٢٠٢١

" دكانة عبد الله — ذكريات الستينيات "«مقدمة» الطفولة هي أسعد مراحل حياتنا، ببراءتها وحيويتها وشقاوتها وجمالها، مخزونها محفور في الوجدان لا يتزحزح مهما طال الزمان... وكل ما أحببناه في هذه الحياة ستجد جذوره ممتدة وعائدة لا محالة لتلك المرحلة الرائعة... في هذه الحلقات سأكتب وبما ستسعفني

به الذاكرة عن كل ما يمكنني الكتابة عنه من هذا المخزون وعن تلك الفترة تحديدا، ساحاول الكتابة عن كل شئ دون تنميق أو تجميل مع مراعاة اختلاف جنس القراء وفئاتهم واحترام ذلك، ولعلي ايضا ساستعين بكم وبتعليقاتكم وبمداخلاتكم أنتم يا أبناء جيلي من الأصدقاء المتابعين والذين شاركوني تلك الفترة، فأعدل وأتمم وأصحح وأجبر ما قد يكون في كتاباتي من خلل أو كسر... ستقرأون في هذه الذكريات بإذن الله عن مغامرات خاصة وعن أحداث عامة وعن مواقف لا زالت ماثلة وعن أسماء وشخصيات نفتخر بها ونعتز... سينبعث عن معظم حلقات هذه الذكريات عبق الماضي الذي نحب ونعشق... وسيتخلل بعضها نغزات وانتقادات هي للعبرة لا لجلد الذات... قد أكتب فيها حتى عن أخطائي الشخصية وعن (تخبيصاتي) خصوصا تلك التي تعلمت منها... خلطة ومزيج عجيب وغريب ستجدونه في هذه الحلقات... واملي ان اقدم فيها ما يسركم وان تنجح كلها فترسم على وجوهكم النيرة الخيّرة بعض الابتسامات... ع ح ك



دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ١ — العز الذي مضى

النشر في المدونة ٢٢ يناير ٢٠٢١

في أحد شوارع حي البيارة وتحديدا في الواجهة الغربية لحوش الحج حسين كريشان جدي رحمه الله وملاصقة لبيتنا القديم بيت الحج حامد حسين رحمه الله تجدها قابعة قائمة حتى يومنا هذا... لكن مع ما جرى عليها من صروف الدهر وتقلب الأيام وعبثها... غرفة حزينة كئيبة هي الآن لا باب لها ولا سقف يجلس

فيها شباب الحارة بين حين وآخر يتبادلون اطراف الحديث خصوصا في ليالي صيف معان الهادئة أما إن جلسوا شتاء فتراهم يتدثرون بفرواتهم الصوفية وشُمغهم، يتحلقون داخلها حول موقد النار وفوقه ابريق الشاي الأزرق المُتسخم، في أيديهم جميعا سجائرهم المشتعلة وكاسات الشاي بالنعناع صيفا وربما بالقرفة شتاء، ينفثون مع دخان سجائرهم بعض همومهم... تارة يتحدثون بفخر واعتزاز عن قصص الآباء والأجداد، يترحمون عليهم وعلى ذلك المجد الذي مضى وانقضى، وتارة يعرجون بألم وحسرة على بؤس أحوالهم وما آلت اليه، تؤلمهم هذه الفرقة بين الناس وهذه القطيعة... وكيف تغيرت النفوس، تُحزنهم هذه الجفوة التي حلت محل المودة ومحل المحبة... يُغضبهم ويقهرهم هذا الإهمال والتجاهل المتعمد لهم... أغلبهم ودون جدوى يبحث عن عمل يحفظ عليه كرامته... غالبا ما تنتهي هذه الجلسات بسخط على كل شيء، على كل من كان سببا في معاناتهم وفي معاناة أهلهم و ذويهم، سخط على كل أولئك الذين هم وراء هذا الفساد ووراء هذا الوضع المتردي الذي يعيشون، سخط وغضب على من هم وراء هذه البطالة الكارثية المدمرة وما سببته لهم ولذويهم وللعباد

وللبلاد من ويلات وويلات... مع الله أكبر يغادرون... كل الذين أكرمهم الله بصلاة الفجر في المسجد وأظلتهم ذمة الله، سترتاح قلوبهم رغم كل هذا... ورغم كل شئ...

لهذه الدكانة أيها الأصدقاء قصة بل قصص ذات شجون وشؤون. انتظروها تكرما وتفضلا. في حلقات قادمات عديدات حافلات...



دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ٢ — مرحلة البسطات

النشر في المدونة ٢٣ يناير ٢٠٢١

طموحاتي ومشاريعي التجارية بدأت مبكرة جدا... (منذ الرابع الابتدائي، ومع ذلك لاحظوا الشهادة، طالب شاطر، الثالث على الصف. ولاحظوا كلمة مرتب) بدأت تجارتي مع البوشار ومع الطبلية في الشارع، كنت اشترى وأنا ابن عشر سنوات وقية الذرة من العم فالح رحمه الله بقرشين ونصف أعدها وأجهزها بنفسي،

وأتحدى جميع من في البيت بأن يجدوا في الطنجرة حبة واحدة محروقة، إتقان وحرفية (مش أي كلام.) أعملُ من وقية الذرة عشرات المحاقين، كل محقان أبيعه بتعريفة، افتحوا حاسباتكم الآن لتحسبوا عليها أرباحي لكن بعد أن تذكروا الله وتصلوا على الرسول... لمعلوماتكم أنا حتى الآن وبعد مرور أكثر من نصف قرن، الشيء الوحيد الذي أتقن صناعته وتحضيره في المطبخ هو البوشار... لقد قالوا:

(علمني الصيد بدلا من أن تعطيني في كل يوم سمكة).

كان الوالد رحمه الله كلما عاد من السفر نهارا يراني وأنا ابن العاشرة أجلس على مصطبة في الشارع قريبا من البيت، أضع بين يدي بسطة (طبلية) عليها محاقين البوشار ومنوعات من الأشياء الزاكية، لم يكن اسمها في ذلك الزمان أشياء زاكية، ولم يكن هناك أشباس ولا مواد حافظة ولا غش تجاري... كان اسمها أشياء أم القرش وأشياء أم التعريفة، مصاص، قضامه، بسكوت ماري، دربس، راحة، راس العبد، وييفر علكة. أبيعها لأطفال الحارة... كان والدي رحمه الله يناديني ويقول لي مازحا وموبخا (شو بتسوي يا ولد... فضحتنا في الحارة؟ انت ناقصك مصاري؟) كان حالنا

بفضل الله ميسورا جدا وكان الوالد رحمه الله لا يبخل علينا بشئ أبدا... لكنها هواياتي التي لم يكن ليحرمني من ممارستها... هي رحمة الآباء، وهي تربية مثالية دون جامعات أو دراسات... جزاهم الله عنا خير الجزاء...



دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ٣ — دكان الطين

النشر في المدونة ٢٥ يناير ٢٠٢١

بعد نهاية الصف السادس وفي الاجازة الصيفية تطورت افكاري التجارية بل قفزت ومرة واحدة من مرحلة البسطات إلى مرحلة الدكاكين والمحلات...

مهاراتي لا تتناسب كثيرا مع كل أفكاري وطموحاتي، شخص

واحد فقط في الحارة عنده هذه المهارات، انه صديق الطفولة وابن العم متعدد المواهب والمهارات سليم عمر ابو عمر شفاه الله وعافاه، عرضت عليه الفكرة فقال سهلة وبسيطة جدا. اللبن موجود والطين موجود والمعلم موجود، فقط ساعدني، وما هي الا ليلة وضحاها حتى كانت قائمة على عروشها، بنيناها في واجهة حوش خالد ابو العبد رحمه الله في الشارع الرئيسي من حي البيارة بجوار بيتنا، من ينظر إليها من بعيد يظنها خم دجاج، مساحتها لا تتجاوز المترين ولها باب مثل أبواب البساتين، باب خوخة، على من يزيد طوله عن متر عليه أن ينحني احتراما ان اراد الدخول للشراء، في تاريخ مصر حالة مشابهة... كان من يريد رؤية الفرعون من المصريين يمشي منحنيا في ممرات الاهرامات حتى يصل إلى مقر الملك... نعوذ بالله من الفرعنه...

خلال مسيرة دكان الطين شجعني ودعمني بقوة صديق الوالد وجارنا محمود أبو الشيخ رحمه الله، كان يزودني كل أسبوعين تقريبا ببضائع سعودية مهربه من تبوك، صلصل، تايد، جبنة كرفت، شاي ربيع، عطر بروفسي، عطر كاشيت... ودخان من جميع الأشكال والالوان... اما البضائع المحلية المطلوبة لزبائن الحارة

فكنت اشتريها من تاجر الجملة الكبير المعروف الحاج رسمي ابو رخيه حفظه الله وعافاه الرجل الذي أُكن له كل الاحترام على مواقفه الابوية الطيبة معي وعلى معاملته لي كرجل مثل بقية التجار الرجال، وعلى تشجيعه وثقته... كان يقول لي خذ ما تريد من البضائع وبعد أن تبيعها تعال وادفع ثمنها...

حصادي المالي في نهاية الإجازة بلغ ٩٥ دينار، فالخمسة دنانير التي بدأت بها تجارتي في هذا الدكان أصبحت مائة دينار، ومائة دينار في ذلك الزمان ثروة كبيرة تدعوك للتفكير والتخطيط... إذن أصبحت المرحلة الجديدة واجبة... لا بد من التوسع...



دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ٤ — أسلوب تربية... ولفتات

النشر في المدونة ٢٨ يناير ٢٠٢١

قبل الحديث عن دكانة الأسمنت هناك في مرحلة الطين ما يستحق الذكر:

اسلوب الوالد رحمه الله في التربية كان رائعا، تربية متميزة أتاحت لي ولإخواني النمو السليم، تربية عززت ثقتنا بأنفسنا،

علمتنا الكثير وعلمتنا قيادة الذات وتحمل المسؤولية منذ الصغر، وها أنا ذا ابن ١١ سنة أمتلك دكانا وأتاجر... أشتري وأبيع وأتعامل مع الكبير ومع الصغير... فرص لا تتاح لكثيرين.(وايضا دعوني أهمس لكم فأقول) بالرغم من البلاوي التي اقترفتها يداي وبالرغم من عدة مصائب تسببتُ بها في ذلك السن وسأحدثكم عن بعضها أن شاء الله فيما بعد، أقول بالرغم من كل هذا... لا أذكر انه رحمه الله قد ضربني ولا حتى بالكف (قلم بالمصري).

لفتة أخرى، دكانتي الطينية هذه لو أن أحدهم ضرب بابها أو جدارها بقدمه لانفتح من الضربة الأولى ولاستطاع أخذ كل ما فيها لكن هذا لم يحدث أبدا، وبقيت آمنة سليمة وكأنما هي مبنية في حوش بيتنا من الداخل لا في شارع عام... ولو انني تركت بابها مفتوحا أو تركتها بدون باب لما فقدت منها كبريتة واحدة... لم يكن هناك أبدا ما يدعوني أو يدعو غيري للقلق... بل لعل سوق معان كله في ذلك العهد لم يكن بحاجة ولا لحارس ليلي واحد... إنها مخافة الله وإنه أمان واطمئنان وقيم وأخلاق الناس في ذلك الزمان... لا مخدرات ولا انحرافات ولا بطالة ولا زعرنة... وحتى الانتخابات كانت موجودة لكن عقول وقلوب ونظرة وقيم وأخلاق

الناس كانت اكبر منها بكثير... كان التآلف والترابط وخوف الناس على بعض... كانوا كالقلب تماما من الداخل مقسم إلى حجرات لكنه وحدة واحدة متماسكة يمنح الحياة لجميع الجسم... يسكنه الإيمان وتزينه المحبة...

من الطرائف الخطيرة التي حصلت لي، كنت أضع في مدخل الدكانة بين طاولتي والباب كيس صودا غسيل مملوء أبيع منه ويجلس عليه من يريد من الأصدقاء، والدكانة لا تتسع معي إلا لشخص واحد... كاد هذا الكيس أن ينهي مسيرتي التجارية بل كاد أن ينهي حياتي كلها... أحد الأصدقاء المشاغبين رحمه الله وسامحه مازحا أخذ يضرب بيده عدة ضربات قوية على كيس الصودا حتى تصاعد غبارها الخانق وملأ الدكان التي لا منفس لها ثم خرج وأغلق علي الباب ووقف خارجه يمنعني من الخروج... لولا مشيئة الله ولطفه ثم صراخي الذي علا وأشعره بخطورة الأمر لكانت تلك الحادثة هي الحلقة الأخيرة... الحمد لله ربنا لطف وستر...

بنصف قرش(تعريفة) يستطيع الطفل شراء ما يريد... مصاصة، ملبس، جوز هند، ويفر... ولي مع الويفر هذا حكاية... كنت أحبه

كثيرا وكلما بعت واحدة أكلت مثلها... وبدأت بعد ذلك أحسب كم بقي لي من ربح الباكيت... ولولا حسبة الربح والخسارة لما اكتفيت في كل مرة بواحدة... . بالقرش تتضاعف المشتريات وبالبيضة تكون الأضعاف ثلاثة، كان التاجر أي تاحر يشتريها من الأولاد بقرش أو بقرش ونصف حسب حجمها...

الأطفال في كل زمان ومكان لطفاء طيبون وفي دكانتي كان للطفل النظيف المرتب تسهيلات خاصة وامتيازات، كان يحصل على حبة ملبس مجانا... ويمكنه أيضا الشراء (عالدفتر) ويمكنني الان ان أذكر لكم اسماء الاطفال المرتبين لكن على الخاص

هم الآن جدود ولهم أحفاد... حفظهم الله وحفظكم أيها القراء جميعا...



دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ٥ — المُهرب الصغير

النشر في المدونة ٣٠ يناير ٢٠٢١

كانت الطريق بين معان وتبوك في الستينيات ترابية، منطقة بطن الغول فقط تستغرق من سائقي الشاحنات جهودا مضنية وساعات طوال بسبب التغريز في الرمال.. ومع هذا كانت حركة الشحن والنقل بين معان وتبوك نشطة. معان من المدن الأردنية التي اشتهر أهلها بالعمل في مجال الشحن والنقل، مهنة شاقة وصعبة.

أعان الله كل من عمل ويعمل فيها. دائما المناطق الحدودية هكذا، يتجه سكانها إلى الشحن والنقل ويصاحبهما عند البعض التهريب... تهريب البضائع بسبب اختلاف نسبة الضرائب الجمركية بين دولة وأخرى،

كانت الشاحنات الأردنية تنقل البضائع والخضار والفواكه إلى تبوك وتعود بالصناديق (السحارات) الفارغة... لكن مخابئ الشاحنات عند البعض قد تخفي الكثير من البضائع المهربة، أسعار البضائع في السعودية بسبب عدم وجود جمارك أرخص سعرا منها في الأردن، يجوز لسائق الشاحنة أن يشتري لوازم بيته وما يحتاجه هو وعائلته من السلع المباحة... وجمارك الحدود لا تمانع بل تسمح بذلك... كثيرا ما كنا نسمع الكبار وهم يتحدثون في مجالسهم عن موضوع التهريب، منهم من يقول التهريب حرام ولا يجوز ابدا...، ومنهم من يقول اذا كانت البضائع غير محرمه (التهريب ما في شي) يعني حلال. ويكررون مقولة اصلا هذي الحدود كلها مصطنعه رسمها الاستعمار... بس الله يبعدنا عن المخدرات...

كنت أعرف مواعيد عودة شاحنة العم محمود أبو الشيخ الله يرحمه من تبوك، كان غالبا ما يصل معان بعد منتصف الليل...

ومنتصف الليل في معان في ذلك الزمان يعني عتمة شديدة ونباح كلاب يأتيك من كل حدب وصوب... مسدس البرشوت ابو طعجة وزنه ثقيل لكني جربت إطلاق النار فيه أكثر من مره... عدم الخوف من العتمة اكتسبناه من. تشجيع الكبار ومن طبيعة البيئة ومن لعبة كنا نلعبها صغارا... لعبة مرعبة نلعبها مع الاقران اسمها (حنتش بنتش واللي يلحق ينتش...) ملخصها لعبة ليلية لاختبار الشجاعة وعدم الخوف من الجن... على المتسابق ان يحضر من المقبرة العقال الذي تكون المجموعة قد وضعته عند قبر معين وسط المقبرة ومن يدعي عدم الخوف عليه احضاره... لعبه يقف لها شعر الرأس خصوصا مع جو المقبرة الرهيب في الليل، ومع وجود عشرات الكلاب التي ستلحق كل من يركض أمامها...

ما أن يطفئ العم محمود أبو الشيخ رحمه الله محرك شاحنته ويترجل منها الا ويجدني اقف أمامه بكبوتي وبسلاحي (متبشنق... ومتعلط)... عندما يراني يقول مبتسما بسم الله انت يا ولد ما بتنام؟! انت ادمي ولا جن؟! انت ما بتخاف؟!... فارد عليه الحمد لله على السلامه يا عم... جبتلي شي معك؟ فيضحك رحمه الله ويقول طبعا جبتلك أنا ما بنساك... الك كرتونة من أكبر

حجم مليانة... ويتابع مبتسما وهو يشير إلى مكان البضاعة شكلك يا عبد الله رح تصير مهرب كبير...



دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ٦ — لا هارودز ولا منكو ولا كارفور

النشر في المدونة ١ فبراير ٢٠٢١

اقتربنا من بيت القصيد... وبما أن الشيء بالشئ يُذكر، أقول لحضراتكم، صحيح أننا في الستينيات لم نكن نعرف المولات... لم يكن هناك لا ستي مول ولا سامح مول ولا كارفور. لكن كان هناك أسماء تجارية معروفة ومشهورة... هارودز في لندن، صيدناوي في القاهرة، منكو في عمان..... أما في معان وبالتحديد في حي

البيارة... فلا بد وأنكم قد استنتجتم وعرفتم المقصود... الأمور أصبحت واضحة جلية...

قبل عامين أو ثلاثة من بدايات التاجر الكبير الأخ والصديق العزيز المعروف أبو قيس فايز أبو طويلة حفظه الله ورعاه وقبل رحلته التجارية الناجحة التي أسأل الله أن يبارك له ولأولاده وأن يزيده من فضله ونعيمه، أقول قبل مسيرته هذه بسنتين أو ثلاثة بدأت أنا مسيرتي المرموقة... في هذا الصرح الذي تشاهدون والمشار اليه بالسهم، وكان ذلك عام ١٩٦٧.

قلت لصديقي المعماري الفنان سليم عمر المختار عندي مخططات جديدة، أخطط للتوسع ولبناء دكان أكبر وفي هذه المرة أريده من الإسمنت، لم تعد دكانة الطين الصغيرة تلبي طموحاتي. الطوب موجود في الخرابة والإسمنت موجود وأنت المعلم وأنا العامل... (شو رأيك يا معلم؟) قال أنا جاهز لكن استئذن الوالد... فور موافقة الوالد هدمنا نحو أربعة أمتار من السور الطيني المحيط بخرابة وحوش بيت جدي رحمة الله، هدمنا الجزء المتصل ببيتنا من جهة وادي الشامية ثم بدأنا البناء مكانه... أنا العامل أحضر البلوك وأجهز الجبلة وسليم المعلم يمسك بالمسطرين وبميزان

المي والخيط والبلبل ويبني... العامل عمره ١٣ والمعلم ١٤ والبناء ها هو قائم لأكثر من خمسين سنة... كانت الوالدة تطل علينا من شباك غرفة الضيوف الذي أصبح متصلا بالدكان... كانت تناولنا منه أحيانا إبريق الشاي والفطور وأحيانا تطل لتشجعنا وتسمعنا بعض الكلمات المُحفزة والدعوات الطيبة... قالت بعد ذلك في واحدة من طلاتها حفظها الله

(ما دامكوا شاطرين هيك حضروا حالكوا لما تخلصوا تدهنولي النملية والبيرو وتنكات الزريعة وكراسي الخشب وتسووا عتبة لباب الخرابة)

وصل البنأء إلى ما قبل السقف... العمق نحو خمسة أمتار والعرض أكثر من ثلاثة... قال سليم إلى هنا انتهى دورنا، السقف يحتاج إلى دوامر حديد والى رجال... جاء الوالد رحمه الله من السفر، انبهر بما رأى وفرح واثنى علينا، قال اتركوا الباقي على الكبار... ذهب وبعد قليل عاد ومعه العوس وشوباش رحمهما الله... ومع عبارات الثناء علينا منهم ومع نكاتهم وضحكاتهم ومزاحهم رحمهم الله خصوصا مزاح العم شوباش تم انجاز السقف وصب الأرضية والعتبة وتركيب الباب... واستلمت المفتاح... إنها... دكانة عبد

الله...



دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ٧ — قبل البيع وقبل الشراء

النشر في المدونة ٥ فبراير ٢٠٢١

ليست هذه الذكريات للتباهي، ولا للتفاخر بالنفس ولا بالمكان، ابدا... فحياتنا أيضا لم تكن وردية ولا مثالية كما يظن البعض، كان فيها الحلو وفيها المر، أما هذه الذكريات فهي لعرض صور وتجارب شهدناها وخضناها وفترة عشناها، وعاشها مثلنا الجميع، لا اقول جميع من في الأردن فحسب بل لعلها عمت وسادت منطقتنا

العربية كلها بقراها وأريافها وبواديها فالأمر ثقافة مجتمع وخصائص حقبة. هذه الذكريات وسيلة توسلت بها للتواصل وللحوار معكم أيها الأصدقاء أيها القراء...، أينما كنتم ومن أي جيل أو جنس أنتم... هي وسيلة نعزف بها معا نحن الكبار على أوتار الماضي الذي نحب ونعشق، وهي لتبادل الحديث مع الأجيال الجديدة عن بعض الأمور وعن بعض عادات وتقاليد الناس في تلك الفترة. هي نافذة نطل منها على طفولتنا وعلى ألعابنا، على أساليب تربيتنا التي ندعوا الأطفال والناشئة والشباب إلى ان يشاركونا هذه الاطلالة، ليتعرفوا على تفاصيل خفيت عنهم... تفاصيل عشناها ولم يعد لها وجود وهم لا يعرفون عنها الا القليل... هي ايضا فرصة نذكر فيها الفضل لأصحاب الفضل، نتحدث ما استطعنا عن قدوات حسنة ورموز عاصرناهم، أحببناهم وتعلمنا منهم... هي لوحة أحاول رسمها هنا بامكاناتي المتواضعة، وأعرضها لمن يحب... اخوة، أبناء، أحفاد... علهم يجدون فيها ما يسرهم أو ما ينفعهم.

عندما وصل أبنائي إلى مرحلة المراهقة والى ما بعدها لاحظت على بعضهم أنني كلما تدخلت بقراراتهم جاءت النتائج غير

مرضية وليست بالمستوى الذي أريد... وتيقنت مع التكرار أنني كلما تركت لهم فرصة قيادة الذات وتحليت معها بالصبر عليهم وتغاضيت عن أخطائهم لحين بلوغ النتائج... جاءت النتائج أفضل بكثير لي ولهم... القائد لا يحتاج إلى قائد... ومع هذا أقول متيقنا أيضا أنه ما بين يومنا هذا والستينيات اختلفت الكثير من الظروف والمعطيات والمقارنة دون مراعاة هذه المعطيات لا تجوز ولا تصح... أما الخوف الزائد على الأبناء فلا مبرر له أبدا...

بعد أن اكتمل تفريغ وترتيب البضاعة على الأرفف ووُضع بعضها على الطاولات وبعضها على أرضية وزوايا الدكان... معلبات، زيوت، سمن، صابون، منظفات، شاي، أكياس سكر، رز، طحين... ووُضعت طاولة البياع في الوسط، طاولة ذات أدراج وأقفال ومفاتيح، لحسابات الغلة، وفي منتصفها استقر الميزان ذو الكفتين وحوله تلك الأوزان النحاسية متنوعة المقاييس، رطل ونصف رطل واوقية ونصف اوقية... واجهة الدكان خُصصت لبسطة مميزة تُعرض عليها مشتريات الأطفال وتسعى لجذب انتباههم... بالونات سحبات يانصيب، فُرينات، مرتبانات للتوفي والملبس، راحة وبسكوت وبيفر، سكاكر، جوز هند، مصاص، علكة... أما

أجواء الدكان فامتلأت بذلك العبق، عبق بقالاتنا القديمة، العبق الذي تختلط فيه رائحة الزعتر البلدي مع رائحة الصابون النابلسي... ورائحة بيض الحمام (الملبس على لوز) مع رائحة القضامة الفيصلية الزكية والملبن... روائح تغرينا حتى الان... كعادتها طلت الوالدة حفظها الله من الشباك وقالت هذه المرة... ما شاء الله، الله يعطيكوا الف عافية، و مبروووكة الدكانة سبع بركات... كل هذي البضاعة ما شاء الله بس بمئة دينار؟! الله يزيد ويبارك... لكن يا عبد الله شو هظاك الدفتر الكبير اللي على الطاولة؟!



دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ٨ — سعيد قيشو وصلاة الفجر

النشر في المدونة ٧ فبراير ٢٠٢١

لتعلقي الشديد بالدكانة طلبت ان أنقل فراشي ونومي إليها، كلما سهرت إلى ما بعد العاشرة نمت فيها. من أصدقاء العمر الذين شاركوني بعض فعاليات دكانتي منذ بداياتها الصديق الوفي والرجل الطيب المنبت وكريم الخصال والفعال سعيد قيشو ابو خطاب حفظه الله ورعاه ومتعه بالصحة والعافية، كنا نصلي معا،

أحيانا في مسجد شارع فلسطين القريب من بيته، وأحيانا في المسجد الكبير القريب من بيتي، جزا الله خيرا كل من علمنا الخير وكل من وجهنا لخير أو للصلاة وعودنا عليها وكل من له فضل علينا من قريب أو من بعيد، الحمد والشكر كله لله والفضل كله لله، ولأصحاب الفضل علينا الأجر والثواب بإذن الله ومنا لهم صالح الدعاء والشكر والعرفان والامتنان. أصدقائي أصدقاء المسجد في تلك الفترة كُثر، ليتني أتذكرهم جميعا، سأذكر بعضهم هنا بالاسم لكن الود والمحبة للجميع، لهم و لمن ستخوننني الذاكرة واعجز عن ذكرهم: وائل أحمد جبر، سعيد قيشو، رضا قيشو،، عدنان فارس، قائد مبارك العدني، عبد الله الخوالده، عدنان قباعه، عوده الزيادنه ومنهم من كان أكبر منا بسنتين أو بثلاثة كرضوان رجا رحمه الله ويوسف محي الدين أبو هلاله... وغيرهم حفظهم الله جميعا. أجواء صلاتنا وجمعاتنا في المسجد كان لها روحانيات وجماليات يصعب وصفها... تركت فينا لليوم أطيب الإنطباعات وأروعها، مثل هذه الأجواء كانت تزداد روعة وجمالا في الرحلات، فهناك الحرية والأجواء المفعمة بالفرح والمرح واللعب، وهناك البرامج والفقرات الجماعية المحببة بمشاركة وإشراف من نحب من قادة،

أساتذة أجلاء كرماء، مخلصون، قدموا لنا ما يقدمه الآباء لأبنائهم وجسدوا لنا ما نحتاجه من قدوات حسنة... في واحدة من رحلات الستينيات المميزة خيمنا للمبيت في وادي الملوك أو مقابر الملوك، منطقة قبل (السيق) المدخل الشهير للبتراء تلك المدينة الأثرية الوردية الساحرة والتي تبعد عن معان فقط ب ٥٥ كيلومتر... على جنبات ذلك الوادي شرفات وعتبات هي مقابر للانباط، خيمنا للمبيت وسطها، كان من بين الفقرات الليلية للرحلة مناوبات حراسة المعسكر، وصلاة القيام، وقعت قرعة حراسة المعسكر بين الساعة الواحدة والثالثة فجرا علي أنا العبد الفقير وعلى رفيقي وصديقي جميل عليدي رحمه الله، وزني أنا ووزن جميل معا حينها قد لا يتجاوز السبعين كيلوغرام... الاثنان من حجم الترانزيستور، ومع ذلك كلفونا بالحراسة، لم يخرج علينا من الوحوش أو اللصوص ما نختبر به شجاعتنا وقدراتنا ومع ذلك شعرنا بقيمتنا وقوتنا وببطولتنا التي كنا نجهلها... على صخرة مطلة جلسنا معا نحرس ونتناجى بهمس... نتامل هذا الجمال الرباني الأخاذ، ليلة صيفية بديعة، سماء متلألئة، سكون وهدوء تام، بدأ يشقه صوت رخيم، الله اكبر، الله اكبر، واخذت الجبال

المحيطة تردد... استيقظ كل من في المعسكر وهم قرابة الخمسين ودبت فيهم الحياة والحركة بين موحد ومسبح ومتوظئ... اصطف المعسكر كله بخشوع تام خلف الامام وارتفعت إلى السماء من ذلك الخلاء آيات { ق والقرآن المجيد... إلى قوله تعالى... ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود... } واني لاطمع الآن وأرجو ان تكون تلك الصلاة وما فيها من تضرع ودعوات صاداقات قد قُبلت ونظر إلينا حينها رب السماوات وقال اشهدوا يا ملائكتي أني قد غفرت لهم واعتقت رقابهم ورقاب آبائهم وأمهاتهم من النار...

من بيته الواقع خلف شارع فلسطين الذي يبعد عنا نحو كيلو متر واحد جاء سعيد قيشو كعادته اليومية ليوقظني ونذهب معا لصلاة الفجر في المسجد الكبير خلف الامام الجليل الشيخ فهمي رحمه الله... أو نذهب أحيانا إلى مسجد شارع فلسطين لنصلي خلف الحاج الشيخ رسمي رحمه الله أو خلف استاذنا المحبوب شاكر فياض حفظه الله... استيقظت ودخلت البيت لأتوضأ، وعندما عدت وجدت سعيد قد افترسه شيطانه ونام في فراشي... وعبثا حاولت يومها اقناعه بترك الفراش ومرافقتي

قال الذي تكبد كل هذه المشقة طلبا للأجر والثواب وجاءني من بيته ليوقظني قال لي وهو يغطي راسه بالبطانية (حل عني الفراش دافي... هالمرة روح صلي لحالك أنا صليت...)



دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ٩ — كل الحنين إلى بيوت الطين

النشر في المدونة ١٥ فبراير ٢٠٢١

معظم بيوت الأربعينيات والخمسينيات كانت من الطين، بيوت الطين لها طراز وتصميم معماري خاص يعرفه الآن كل كبار السن الذين سكنوها في ذلك الزمان، ويعرفه كذلك المعماريون والمهتمون بالتراث. كنت أتجول في إسكان أبو نصير أبحث عن بيت لشرائه، كان ذلك في منتصف الثمانينيات قال لي المهندس

المسؤول لم لا تشتر واحدة من فلل (معانيات) ثم اكمل شارحا عندما شاهد علامات الاستغراب في وجهي، قال (المعانيات) طراز معماري تعتمده مؤسسة الإسكان يكون البيت أو الفيلا فيه مستورا من جميع الجهات وغير مكشوف من البنايات المجاورة وسكانها.

بيوت الطين القديمة في معان قد يصل ارتفاع السور فيها إلى خمسة أمتار، الجدران فيها سميكة جدا بسبب طريقة (الممدودة والمعروضة) في البناء، لبنة توضع بعرضها ثم توضع بجانبها لبنة بالطول فتصل سماكة الجدار مع القصارة إلى ما يزيد عن السبعين سنتيمتر، مساحة بيوت الطين التي شاهدتُها أنا شخصيا وسكنتها كبيرة... فيها حوش واسع (يطارد فيه الخيال كما يقال) ولها ملحقات قد تتصل بها مثل (بيت الطنايب) والخرابة والقصيلة والبير، وقد تبتعد عنها مثل الزريبة وبيت القطع لتخزين التبن... بعض بيوت الطين تتكون من طابقين يسمى الطابق العلوي (عِلّية)، الغرف في بيت الطين بعضها بقنطرة واحدة وبعضها أكبر بقنطرتين، الأرضيات قبل انتشار الأسمنت كانت ترابية ومكنسة القيصوم تبعث في البيت كله مع النظافة رائحة عطرة زكية،

الشبابيك عميقة بسبب سماكة الجدران، توضع فيها بعض التحف والمناظر، في الغرفة الرئيسية التي تجمع بين المعيشة والمطبخ وربما النوم... ستشاهد الكواره (الخابية) لحفظ الحبوب، وفي الزاوية هناك مطوى يوضع عليه المنام فرشات الصوف واللحفة والمخدات البيضاء ذات التطريز الأزرق، مع الأيام دخلت إلى مطبخ بيت الطين النملية بظرف أبوابها الزجاجة التي تظهر من خلالها الصحون والكاسات والزبادي وطاسة الرعبة ومرتبانات المقدوس والزيتون والمعقود... وفوق النملية ستشاهد الفنار أو اللوكس أو (ضو) نمره أربعة أو (ضو) نمره ثلاثة للاضاءة الليلية... من الروزنة العالية ستسقط أشعة الشمس صيفا وشتاء... في مكان استقبال الضيوف، فرشات أو (جنابيات) وُضعت أرضا على الجوانب فوقها المساند والمراكي، وتحتها وامامها الخُدرة أو البساط الذي غزلته الجدة على يدها وبمغزلها، قد تشاهد في واجهة الديوان قاطعا مبنيا (كالمصطبة) توضع فوقه الفرشات تُغطيها الشراشف النظيفة، أما الشراشف البيضاء فستشاهدها في كل البيوت التي ستزورها في العيد... مع الكعك والملبس والتوفي... ومع رائحة البخور وعود الند... في المداخل وعلى

جنبات الجدران تصطف (تنكات) الزريعة... منثور، قرنفل، فم السمكة، شب الزريف... وزير الماء هناك ملفوف بخيشة نبتت فيها البراعم الخضراء وعُلقت عند إحدى أذنيه كيلة الألمنيوم، وإذا كشفت الغطاء لتملأ الكيلة بالماء انبعثت من الزير رائحة الياسمين... في وسط الحوش معرّش الدوالي الذي غنت له سلوى بين الدوالي والكرم العالي يا محلى السهرة والبدر يلالي... الغنم والدجاج والبيض وصوت الديك فجرا ورائحة خبز الطابون ومذاق حليب الغنم الطازج والزبدة والسمنة البلدية كلها مرتبطة مع ذلك الزمان الذي ارتبطنا به... البيوت كبيرة والقلوب كبيرة... ليست الحكاية حكاية بيوت طين أو اسمنت... وليست الحكاية حكاية دكانة عبد الله... الحكاية أعمق من هذا بكثير... حكاية زمن أحببناه بكل تفاصيله برجاله وبأحداثه وحتى بمعاناته وقلة امكاناته... حكاية طفولة عشناها وذكريات جميلة لا زالت تداعب العقل والفكر... حكاية ألفة ومحبة تعمقت هناك... حكاية بساطة وبركة سادت وعمت

فمع الطين لنا حكايات وحكايات... وحميمية قوية وأزلية... قد تعود لتلك الطين التي خُلق منها آدم عليه السلام



دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ١٠ — عن الثقة الزائدة

النشر في المدونة ١٧ فبراير ٢٠٢١

منذ منتصف شوال تبدأ التحضيرات والترتيبات، الطريق إلى مكة المكرمة ترابي وطويل وشاق، لتعويض نقص حافلات الحجاج في ذلك الزمان. كان بعض أصحاب الشاحنات يحولون شاحناتهم إلى حافلات، بتركيب صفين من الكراسي المزدوجة في صندوقها ثم إغلاق جوانبها وسقفها بألواح خشبية قُطّعت خصيصا

وبالقياسات المناسبة، يُغلق أيضا خلف الشاحنة بالخشب ويتم تركيب باب فيه مع درج خارجي يصعد منه الحجاج إلى داخلها... من أوائل من فعل ذلك في معان الوالد رحمه الله، كنا ننتظر ذلك الحدث بشوق شديد، في المرة الأولى يتم تحويل الشاحنة إلى حافلة عند النجار المختص ثم في السنوات التالية يتم (بالعونة في الحارة). كنا نستخرج الكراسي والعدة من مخزنها ويبدأ التركيب،... كان الوالد يسمح لنا بالمشاركة وبالمساعدة في هذا العمل الممتع، نقل الكراسي ومناولة الخشب وإحضار العدة وشد البراغي والصواميل،، كل منا كان يؤدي العمل الذي يتناسب مع سنه وقوته، كنت الأصغر بين اخوتي، ورغم ذلك كان الوالد رحمه الله يكلفني معهم ببعض المهام، أكثرها متعة بالنسبة لي الوقوف تحت الشاحنة وشد براغي الكراسي والصواميل من الأسفل... العمل اليدوي دائما ممتع جدا، حتى الحصص المدرسية العملية كانت ممتعة ومعلوماتها تترسخ في الذاكرة ومن الصعب نسيانها، عرض لنا مرة مدرس العلوم فلما عن تعليم مجموعة من طلبة المرحلة المتوسطة الألمان قيادة السيارات... كنا نحن وقتها في الأول الثانوي أي كان ذلك قبل خمسين سنة ولا زلت حتى الآن

ومن المشاهدة فقط أتذكر تفاصيل تلك الحصة، فما بالكم لو أنني كنت واحدا من أولئك الألمان الذين مارسوها عمليا وقادوا تلك السيارات الصغيرة...

مع بداية شهر ذي القعدة من كل عام يكون قد اكتمل تجهيز شاحنتنا كحافلة لتستوعب أكثر من ثلاثين حاجا، غير السائق ومعاونه ومن يركب بجانبهم في غرفة القيادة (الرأس)... قبل الانطلاق ترتفع فوق سقف الشاحنة عاليا عاليا أمتعة الحجاج، ومن الجانبين تخرج كذلك أمتعة كثيرة أخرى عُلقت من النوافذ... أباريق الوضوء وقرب الماء وأكياس خيش منتفخة...

تنطلق الشاحنة من بين جموع المودعين ودموعهم وفي أجواء مفعمة بالروحانيات... لا تفوقها روعة إلا أجواء فرحة استقبالهم سالمين غانمين منورين...

مع مرور السنين وكلما سألني حاج ممن رافقوا الوالد وعرف انني ابنه قال انت ابن (خويي في الحج) وبدأ يكيل عبارات المديح والثناء على الوالد ويقول كان نعم الرفق صبورا وطويل بال... قال لي الوالد غير مرة وهو الذي عرف مهارات من رافقنه اذهب لبيت

(خويتي) الحاجة فلانة وقل لها (اخوك بدو كم شراكية) (الشراك هو الخبز على الصاج) كانت الحاجة رحمها الله تلبي ذلك بسعادة غامرة وتحمّلني للوالد مع الشركايات أجمل الدعوات تطلبها من رب السماوات... أخوة الحج أخوة صادقة معمرة...

بعد العودة وبعد أيام الراحة يتم تفكيك الحافلة، الكراسي والخشب وإعادة الشاحنة كما كانت... كان الوالد يحتفظ بالكراسي وبالخشب وبالعدة كلها لقيمتها ولتكلفتها العالية في مخزن كبير يقع ضمن حوش جدي رحمه الله، للمخزن بابان خارجي يفتح على الشارع وداخلي يؤدي إلى مخزن آخر بدون سقف ومنه إلى الخرابة...

يبدو أن هرم ماسلو للحاجات عندي كان مقلوبا بالكامل... جاءت مجموعة من الرجال ذات صباح وسألني أحدهم هل يوجد في هذه الحاره مخزن للايجار؟ وبما انني التاجر الفذ ورجل لي من العمر ١٢ سنة... قلت لهم بثقة تامة نعم طلبكم موجود، وفكرت في مخزن عدة الشاحنة...، ولكن لماذا؟ سألتهم...، قالوا نريد تخزين حمولة سيارة طحين أو سيارتين لعدة أيام فقط وبمقابل ٢٥ دينار، على الفور وافقت واتممت الصفقة وتسللت وأحضرت المفتاح

دون إذن (ولا إحم ولا دستور) فتحت المخزن لهم... قالوا ماذا عن كل هذه الكراسي والعدة؟ قلت بثقة تامة ايضا ارموها هناك في الخرابة... سلمتهم المفتاح وقبضت بفخر واعتزاز الأجرة منتظرا على أحر من الجمر أن يصحو الوالد من النوم لأقدم له المبلغ المرموق ولأنقل له الخبر السار...

الثقة الزائدة دمار شامل



دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ١١ — جيرانا جايبين تلفزيون وشبكة دولية

النشر في المدونة ١٩ فبراير ٢٠٢١

في دكان (هايك) رحمه الله لتصليح الراديوهات، شاهدت التلفزيون لأول مرة في حياتي... كان ذلك عام ٦٥ وربما ٦٦... كنت مارا يومها في السوق قاصدا (عميلنا) التاجر لشراء بعض الأغراض، رأيت تجمهرا عند محل هايك فاقتربت وتجمهرت معهم (دحشت) رأسي بين صفوف الرجال لاستطلع الأمر، كان الرجل

صاحب المحل منهمكا مع جهاز له من حجم ١٥ بوصة، يحرك المفاتيح ويراقب الشاشة والرجال يراقبون معه باهتمام ودهشة... لم يظهر على الشاشة غير التشويش... للحظة واحدة فقط مر من بين التشويش طيف انسان فهلل الجميع وارتفعت الأصوات (أجت الصورة... أجت الصورة) لكن الفرحة لم تدم طويلا وسرعان ما اختفى الطيف وعاد التشويش للشاشة... تركتهم وأكملت طريقي باتجاه الأغراض حتى لا (اتبهدل) بسبب التأخير... بعد هذه الواقعة بسنة أو بسنتين كان سكان حي البيارة كلهم يتابعون مسلسل بنت الحتة على شاشة التلفزيون الأردني، أولاد الحارة وهم يلعبون في الشارع كانوا يرددون بتأثير المسلسل عبارات وكلمات توفيق الدقن الله يرحمه (أللووووو ياااا أمم) وكانوا كذلك يرددون ما شاهدوا وما حفظوا من الدعايات التلفزيونية

سنو سنو... حبوه... طلبوه... سنو

ميرندا... إنها سيل من طعم البرتقال...

أمي بدها آر سي... ستي بدها آر سي...

نورماندي أحلى منه ما عندي...

ودخن عليها تنجلي...

كان سكان الحارة يحفظون تفاصيل البرامج التي يقدمها التلفزيون الأردني والتلفزيون السوري وتوقيتات كل فقرة... متى يأتي المسلسل، ومتى تكون المصارعة الحرة، ومتى يُبث فلم السهرة الاسبوعي، كل هذا مع أن بيوت الحارة كلها حتى ذلك التاريخ لم تدخلها التلفزيونات بعد باستثناء بيتين أو ثلاثة... أتذكر أصحابها لكني لا أتذكر من منهم كان له السبق في ذلك... العم فالح أبو خليل والعم ناصر أبو صفوان والعم محمود المختار أبو عبد الله رحمهم الله جميعا... كانت بيوتهم العامرة تستقبل بحفاوة زوارها اليوميين سكان الحارة من الأقارب والجيران والأصدقاء وأطفالهم... قد يزيد عدد الزوار اليومي عن عشرين أو عن ثلاثين فيهم الرجال والنساء والأطفال...

من أبرز برامج التلفزيون الأردني في ذلك الزمان الرسوم المتحركة توم وجيري وبرامج لينا غريس للاطفال والعلم والحياة لزهير الكرمي والعلم والايمان لمصطفى محمود وعلى مائدة الافطار للشيخ علي الطنطاوي ومقالب غوار وصح النوم ومسلسل صالح المهول وبيتون بليس وستيف اوستن ومسلسل فارس ونجود

وأغاني نجاة الصغيرة وفيروز ووليد توفيق وفهد بلان وميسون الصناع وبين الدوالي لسلوى وأغاني سميرة توفيق ام شامه وغمزة...

برجاس يا قاضي الهوى برجاس وأغنية

حنا نشامي يالربع ما نرتضي بالعار

والمجد من عنا طلع حنا حماة الدار

لازم نقيم الصف... دم الشهيد ما جف...

عند موعد المسلسل الذي نحب، بنت الحتة، كنا نطرق الباب وندخل... ومع شدة الازدحام كنا في جناح الرجال نجلس على شكل مدرج مجموعة تأخذ وضع الانبطاح ومجموعة تجلس ومجموعة تتابع من وضع الوقوف... تماما كفريق كرة القدم عندما يصطف للصور التذكارية. النساء تتابع ايضا لكن من غرفة منفصلة، غرفة معتمة وُضع التلفزيون مقابل بابها ليتمكن الجميع من المشاهدة... كنا بالإضافة للمشاهدة نحظى بضيافة كريمة يقدمها أهل الدار... كرم وحفاوة وبساطة وتآلف ومحبة... الحارة كلها أسرة واحدة...

(المعزّب) المُفضل للزوار هو الذي ركّب حديثا على سطح بيته شبكة دولية فوق برج عال وماتور واشترى بوستر لتصفية الصوت والصورة...

قبل عام ٦٨ أي قبل بداية البث من التلفزيون الأردني كان البث الذي يصل إلى معان وبصعوبة بالغة هو بث التلفزيون السوري وتلفزيون الاحتلال وكان الوضع يتطلب تجهيزات خاصة لتقوية الاستقبال مثل الشبكة الدولية والبرج والبوستر . ومع هذا فلم يكن الأمر يسلم من منغصات تعتري بعض السهرات بل كانت بعض السهرات (تنتزع) بالكامل، كانقطاع البث أو تقطعه أو عدم وضوح الصورة أو كثرة التشويش... وفي مثل هذه الحالات تبدأ إجراءات الطوارئ المعهودة، حيث يصعد أحدهم على السطح ويقف الآخر في الحوش في موقع يستطيع منه أن يشاهد من بجانب التلفزيون ومن فوق السطح وتكون مهمة من في الحوش نقل التعليمات والتوجيهات للسطح واستطلاع وضع البث في الأسفل... ويبدأ الحوار عالي التردد ما بين الحوش والسطح والغرفة وبالعكس وقد يُصاحب الحوار موجات من الضحك والمسخرة وأحيانا بعض العصبية:

اه؟ سامعني؟... مالك انطرشت من أولها؟!! بقول سامعني؟ تأكد يا خوي أول شي من البوستر شغال ولا لأ... هاا؟ كيف؟ علّي صوتك يا زلمه مش سامع... اه... بقولك حرك الشبكة لليمين... اه يا ابن الحلال بقول حرك الشبكة لليمين... صرعتني... يا أخي حركتها ملعون أبو عرضها... والله حركتها...!! ارمي حالي من فوق يعني... بعدين معكو... نفخني البرد يا ناس ردوا... أجت الصورة؟ شووو؟ طبع؟ أمانة الله طبع؟ اييييش؟ ما أجت؟ لا اله الا الله... طيب لحظة... اقولك رجع الشبكة زي ما كانت... لا يا ابن الحلال... شوي شوي... انت هيك طينتها عالاخر

خلص يا عمي انزل فكنا منك... ما بدنا هالمسلسل الله الغني... اصلن المسلسل خلّص...



دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ١٢ — مصطبة الدكان

النشر في المدونة ٢٢ فبراير ٢٠٢١

للدكاكين قديما أدوار اخرى غير البيع والشراء. غالبا ما ترى امام الدكان مصطبة، يجلس عليها ويلتقي عندها عصرا رجالات الحي، اما في الشتاء فيتجمعون في الداخل حول موقد النار... الدكان ومصطبته للرجال هو المقهى وهو النادي وهو المتنزه... ويعتبر الدكان مع مصطبته نقطة مراقبة متقدمة واستطلاع امني لحماية

الحي من أي غرباء غير مرغوب فيهم... وللدكان ايضا دور تربوي عفوي يؤديه صاحب الدكان ومن يجلس أو يتواجد عنده من الرجال ينبهون الفتية والصغار حول أخطائهم السلوكية ويحاولون توجيههم للصواب وقد ينتهزون فرصة مثل هذه المواقف ليقدمون نصائحهم القيمة: (عيب الصغير يرفع صوته عالكبير... عيب تجيب الكلام لاهلك المحترمين... عيب تتكلم مثل هيك مع عمك ومع الكبار... و... و... وقد تختتم هذه النصائح بتهديد... والله اذا بتعيدها يا ولد مرة ثانية لامصع اذانك واخلي الوالد يعلقك تعليق...).

اقدم دكاكين حي البيارة دكان العم فالح رحمه الله... شهدت مصطبته لقاءات وجلسات يومية لرجال الحي الغانمين رحمهم الله جميعا... جلساتهم جسدت لنا الكثير من القيم والأخلاق النبيلة، تواصل الارحام، المودة بين الجميع، التعاون، الرجولة، الصداقة، واحترام الكبير، اكرام الضيف وتقديم الغريب... وأكثر من هذا.

كان الشيخ عيد بن حسن أبو حسن رحمه الله وهو خال الوالد وابن عمومته كان طويل القامة عريض المنكبين ولباسه العربي يزيده

وقارا ومهابة... في زاوية من زوايا حوشه يقع دكان العم فالح، اذا أقبل رحمه الله من بعيد عائدا من المسجد أو من السوق قاصدا بيته سبقته هيبته فأطفأ أبناؤه الجلوس عند المصطبة وهم في العقد الرابع أو الخامس أطفأوا سجائرهم احتراما لمجرد مروره من هناك... كنت أنا اتخيل عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد والقعقاع بن عمرو رضي الله عنهم عندما أراه... وقف مرة وهو في منتصف طريقه لاداء صلاة المغرب في يوم من أيام رمضان وقف عندما رآني قادما من بعيد ولم يكن في الساحة غيري فكل الناس في بيوتهم وحول موائدهم ينتظرون مدفع الافطار... قال لي عندما اقتربت منه (وين رايح لحالك هيك؟) ابتسم لي وربت على رأسي عندما عرف انني ذاهب للصلاة... وامسك بيدي ومشيت إلى جانبه وهو يتحدث معي كأنني رجل كبير... لن استطيع ان أصف ما شعرت به وقتها من سعادة وفخار.

قال لي الوالد رحمه الله وهو مع الجالسين على المصطبة (روح خليهم يسوولنا ابريق شاي وجيبه) كانت هذه مهمة كل الاولاد الذين يجلس اباؤهم على المصطبة... ومن يصب منا لهم الشاي يفوز بالاستماع للاحاديث الشيقة... مواقف كثيرة حضرتها عند

هذه المصطبة منها (التشريكة) وفيها يتشارك الرجال الحضور بشراء شاة، يذبحونها ويقسمونها لاكوام بحسب عددهم ثم كل منا يوصل كوم ابيه إلى بيته... حضرت ايضا ذلك الرهان الذي جرت احداثه داخل الدكان بسبب البرد وكان عمن يستطيع أكل كيلو حلاوة مخلوط بكيلو سمن بلدي... قالوا فيما بينهم لن يقدر على هذا الرهان إلا فلان... ودخل رحمه الله... قال باسما (يا جماعة ما بقدر متغدي غدا ثقيل...) ثم ما لبث ان وافق... طلب ان يغطوا محتوى الطاسة بعد خلطه . بعيني رايته في نهاية الرهان وقد ازاح الغطاء عن الطاسة واخذ يلعق باصبعه ما تبقى فيها من آثار الحلاوة والسمن... قال رحمه الله لا تستغربوا... أنا وفلان مرة ونحن في طريق عودتنا مساء من العقبة شعرنا بالجوع واوقفنا الشاحنات وخبزنا قرص نار وبدلا من ان نصب السمن فوق المجلله صببنا عليها بالخطأ زيت سيارات ولم نلاحظ ذلك بسبب الظلام... واكلناها بحذافيرها... قال مكملا حديثه، عندما اقتربنا من معان شعرت (بشئ بسيط من المغص في بطني...)

شاهدنا رواد المصطبة يوما نلعب (روس... قلول) بالقرب منهم وكلهم اب أو عم أو خال أو جار فجاءوا يتفرجون علينا

ويشجعوننا... قالوا نريد أن نلعب معكم (بتلعبونا؟) قلنا بدهشة واستغراب وفرح طبعا قالوا (تمام) لكن ليس هنا تعالوا معنا لنلعب معا في نفس المكان الذي كنا نلعب فيه ونحن في مثل عمركم واخذونا إلى (الطور) وكانت لعبة تاريخية لا يمكن نسيانها.



دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ١٣ — وائل و عبد الله

النشر في المدونة ٢٥ فبراير ٢٠٢١

الصداقة نعمة كبيرة تستحق الشكر... الصداقة علاقة إيجابية ضرورية جدا لكل إنسان... تعطي للحياة رونقها وتزينها بأجمل معانيها... تقوم الصداقة على قواعد من الثقة المتبادلة والصدق والنوايا الحسنة والأمانة، ومصداقيتها البعد التام عن المصالح والأهداف المادية... ركائزها وأعمدتها الاحترام والود والمحبة...

يعزز الصداقة التغاضي عن الزلات ويمتنها التقارب بين الطرفين في السلوك والمفاهيم والاهتمامات... كيانها انسجام واندماج وتضحيات وتآزر في السراء والضراء... ينعشها دوام التواصل وأجمل ما فيها الإخلاص والوفاء.

حظيت بحمد الله بصداقات كثيرة من هذا النوع لا يتسع المقام لذكرها... لكني سأتحدث عن حالة أثبتت لي ولمن عرفنا كيف ان الصداقة الحقيقية تتجاوز كل العقبات وتتلاشى أمامها اقوى المؤثرات... لا يؤثر فيها فراق طويل ولا جغرافيا ولا بعد مسافات، ولا تفتر بطول الزمان ولا ببعد المكان... لا ينهيها خلاف أو نزاع ولا تقوّض عراها فتنة ولا تنال منها عنصرية بغيضة... إنها الصداقة الحقة...

فتنة السبعين المشؤمة عصفت للاسف بالكثيرين، عصفت بكل قيم من كانت قيمهم وعقيدتهم ومبادئهم وأخلاقهم سطحية كسطحية الطحالب لا جذور لها، وانساقوا سفها وجهلا وراء الحقد والكراهية ولبسوا لبوسها...

في معان ولله الفضل والمنة وباستثناء حادثة شاذة كانت الأمور

مختلفة تماما وقف فيها الكبار من جميع العشائر خلال تلك الأحداث الاليمة في وجه الجهل والجهال ومثيري الفتن من الطرفين واخذوا على أيديهم، وفُتحت أبواب البيوت كلها جيرة وحماية لكل من يرغب من أهلنا واخواننا الفلسطينيين ممن كانوا يسكنون معان... وتوثقت عرى الأخوة والمحبة بين الجميع أكثر مما كانت عليه... وهذا تماما ما حصل لي ولوائل احمد جبر (النابلسي) وازددنا بعد تلك الفتنة صداقة وتمسكا ببعض، نابلس ومعان... حتى عائلاتنا تعمقت العلاقات فيما بينهم وترسخت وتكللت بعد ذلك بالنسب المشرف...

افترقنا أنا ووائل طويلا بعد الثانوية العامة بسبب الدراسة وظروف الحياة والسفر لكننا احتفظنا ولله الحمد بصداقتنا وبكل تلك المودة كما هي وكأنما أغلقنا عليها بقفل أو وضعناها في حرز حريز... احتفظنا بكل تلك الذكريات الجميلة نقية صافية كما كانت...

عندما راتني الخالة أم وائل حفظها الله بعد نحو أربعين سنة قالت ضاحكة ممازحة (انت عبد الله اللي كنت مجنني ومجنن أمك وانت صغير كل ما بتشوف البيت مشطوف ونظيف بتدخل بطينة

كندرتك توسخه)... ثم أكملت حديثها فقالت عندما جاء قرار نقل عمل الحاج أبو وائل رحمه الله إلى معان تواصل بكائي طيلة الطريق من الزرقاء إلى معان، فلم أكن أرغب الذهاب إلى معان أو السكن والعيش فيها لبعدها... لكني وبعد عشر سنوات وعندما جاء قرار نقلنا من معان بكيت ايضا وبحرقة وطيلة طريق العودة لكن بكائي هذه المرة كان حزنا على فراق معان وأهلها وجيراني الذين أحببتهم وأحبوني... أوصتني الخالة ام وائل قبل يومين قالت أنتم أخوة (تقصدني ووائل) ربنا يزيدكم من الاخوة والإيمان ويديم عليكم الصحة والعافية... انتبهوا لدينكم وايمانكم وانتبهوا لبعضكم اللي بشوف أخوه مقصر في الدين ينبهه... وأمطرتنا بوابل من دعواتها المباركة أسأل الله ان يتقبل منها وان يستجيب لها ولوالدتي دعواتهن اليومية لنا وان يرزقنا برهن...

ورطتُ وائل في كثير من المواقف، وقد حدثتكم عن بعضها سابقا مثل قصة كبسة التفتيش على الدخان في المدرسة وكيف وضعتُ باكيت الكمال في جيبه حتى اتصرف أنا بالمسدس الذي كنت أحمله وطُرد وائل يومها من المدرسة لاحضار ولي أمره العم أبي وائل العسكري الشديد رحمه الله... والورطة الأخرى كنت في

ذلك الوقت أحب القراءة وكان عندي العديد من الكتب الثقافية أعرت بعضها لوائل ونصحته بشراء غيرها... وكان العم رحمه الله كلما دخل البيت رأى وائل يقرأ فيها تاركا دروسه... فغضب من تكرار ذلك وقرر يوما ان يحرقها في حوش بيتهم وكاد ان يفعل لولا تدخل الخالة أم وائل التي أقبلت مسرعة وقالت له (استنى أنا خبيت راتبك كله في كتاب منهم...).

سافرنا للعقبة، وبما أنني أكبر من وائل بثلاثة أشهر فقد تسلمت أنا القيادة المالية ووضع وائل حصته من المصروف معي (الخُبرة) ولانني كنت قبل أسبوع قد تركت التدخين في محاولة من محاولاتي الكثيرة الفاشلة فقد انفتحت شهيتي على الأكل، دخلنا المطعم لنفطر فلم أشبع من صحني الأول وطلبت صحنا آخر... على باب المطعم قال لي وائل باصرار (الحين ومثل ما الله خلقك بدك تقسم المصاري وكل واحد يصرف لحاله... أنا ناقصني أشارك مفاجيع...).

صداقة صادقة قوية متينة متجذرة أصلها ثابت ضارب في الأعماق وفروعها مورقة مثمرة تعانق السماء... جمعتني مع أخي وائل ومع العديد من الأخوة من فلسطين، من تونس، من مصر، من

الإمارات، من العراق، ومن سوريا... وغيرها وبالتأكيد من الأردن... حفظهم الله جميعا ورحم الله من مات منهم.

من أغانينا الشعبية في معان:

صاحبي لو ضربني بشبريته

لمسح الدم وامشي على نيته



دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ١٤ — جانا الهوى جانا

النشر في المدونة ٢٧ فبراير ٢٠٢١

يومنا الدراسي كان مقسوما لفترتين، الفترة الأولى خمس حصص ثم استراحة غداء لساعة ونصف تقريبا نعود بعدها للحصتين السادسة والسابعة، ينتهي اليوم الدراسي قرابة الثالثة عصرا. قبل بداية الفترة الثانية وقبل الدخول للحصة السادسة كانوا يشغّلون لنا الإذاعة المدرسية... معظم الوقت كانت تبث لنا القران الكريم

بصوت الشيخين عبد الباسط والحصري رحمهما الله... لكن في بعض الاحيان كانوا يشغّلون لنا أغاني عبدالحليم حافظ... سواح... وجانا الهوى جانا ورمانا الهوى رمانا َورمش الأسمراني (ما بعرف وين ودانا).

الراديوهات كانت الوسيلة الأبرز للتسلية وللإعلام... إذاعة عمان كانت تبث أيضا القران الكريم والأخبار والبرامج الدينية كبرنامج الشيخ إبراهيم زيد الكيلاني رحمه الله البرنامج الصباحي المميز وتبث برامج ثقافية شعبية مثل أخي المزارع لمازن القبج رحمه الله ومضافة أبو محمود ومجلس الشعراء... وتبث برامج اجتماعية مثل رسائل شوق... ومسلسلات مثل الف ليلة وليلة... تبث أيضا منوعات من الأغاني مثل البرنامج الشهير ما يطلبه المستمعون، كانت بعض النساء والفتيات ينتظرنه بفارغ الصبر وكل واحدة تقول (الأغنية الجاية حظي) وكل واحدة وحظها... بعضهن يكون حظها (يا ريت ما شفتك ولا عرفتك ولا كان جمعنا مكان.) وبعضهن أحسن حالا فيكون حظها (يا صبحه هاتي الصينية وصبي الشاي ليكي وليه). أغان جميلة كثيرة كانت شائعة في ذلك الوقت لسميرة توفيق وسلوى وميسون ونجاة وفايزة

وفيروز ونصري وصباح والعندليب وفريد ومحمد عبده وصباح فخري... يستمع الناس إلى أغانيهم من خلال راديوهات المقاهي والسيارات والمنازل... كان لكوكب الشرق أم كلثوم ساعة كاملة كل يوم بعد العصر في إذاعة عمان... انت عمري وأمل حياتي ودارت الايام... عيني عيني ع العاشقين... وسلوا قلبي ولسا فاكر وحب إيه وحيرت قلبي معاك وأنساك ده كلام أنساك يا سلام أهو دا اللي مش ممكن أبدا أبدا...

مسجل البكرات في الستينيات كان بالنسبة لنا أعجوبة، كنا نتجمع حوله ونسجل أصواتنا ثم نعيد البكرة لنستمع إلى أصواتنا العجيبة الغريبة المضحكة... مشغل الاسطوانات الجرامافون كان أكثر انتشارا من مسجل البكرات وكان الناس يتبادلون الاسطوانات كما يتبادل فتية اليوم أقراص الألعاب الإلكترونية... ويدندنون بما يسمعونه من أغاني طارق عبدالحكيم يا ريم وادي ثقيف... وأبكي على ما جري لي... وقلت لك في البعد... ولنجاح سلام ميل يا غزيل ولطلال مداح في سلم الطائرة بكيت غصبا بكيت... ويا قمر تسلملي عينك... أما العشاق الحبيبة فيغنون له حبك سباني ولمحمد عبده قلبي ياللي لواه من الصواديف لاوي... ولا تردين

الرسايل ويش اسوي بالورق ولطارق خلوا حبيبي يجيني واسأله... ولسميرة توفيق بسك تيجي حارتنا... ولنجاة ما أحلى الرجوع إليه... ولعبدالحليم ظلموه... وبحلم بيك أنا بحلم بيك... وصافيني مرة وجافيني مره ولا تنسانيش كده بالمرة... ولفايزة أحمد أنا قلبي إليك ميال وما فيش غيرك عالبال انت وبس اللي حبيبي مهما يقولوا العزال...

الأغاني القديمة ليست فقط طربية وإنما فيها من الأصوات أعذبها ومن المعاني أجملها ومن الألحان اروعها... وفيها رقي... وفيها أيضا قيم:

أبا الزهراء قد جاوزت قدري بمدحك بيد أن ليا انتسابا...

أوقدوا النار يا شُبّابها وصمة العار ما نرضى بها...

طلعت يا محلى نورها...

زروني كل سنة مرة...

يا غالي علي يا حبيبي ياخويا...

يا هلي يا هلي...

خي خي حبيبي قاسي ليه يا خي...

ست الحبايب يا حبيبة يا أغلى من روحي ودمي...



دكانة عبد الله - ذكريات الستينيات ١٥ — الإخوان المسلمون

النشر في المدونة ٢ مارس ٢٠٢١

في سن مبكرة وكغيري من الطلبة في ذلك الوقت انتسبت لجماعة الإخوان المسلمين، كنت أصلي في مسجد معان الكبير القريب من بيتي، فقال لي أحد الأصدقاء لم لا تزيد الخير خيرا وتحضر معنا الأسرة الأسبوعية نحفظ خلالها خمس آيات من القرآن الكريم في كل أسبوع ونستمع إلى تفسيرها والى توجيهات تربوية وإلى كلام

الدين والعقيدة والإيمان من أساتذة أفاضل معروفين بأخلاقهم العالية، فوافقت على الفور. كان ذلك في بداية عام ١٩٦٧ ولي من العمر ١٣سنة ونصف، استمريت مع الإخوان لمدة عامين، كانت من سنوات عمري المميزة العامرة بطاعة الله والحافلة بالنشاط والحيوية والقراءة والثقافة، حفظت خلالها نحو ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم، واستمعت إلى تفسيرها وحفظت عشرات الأحاديث الشريفة وقرأت عشرات الكتب الثقافية والإسلامية القيمة، شاركت في رحلات وفي معسكرات وملتقيات ومناقشات شبابية تحت إشراف قيادات تربوية مشهود لها، اكتسبت مع هذا كله الكثير من المعلومات والمهارات التي زادتني ثقة بنفسي وساعدتني أيضا في دراستي...

بعد انتسابي للاخوان بسنتين قدر الله لي ان أتركهم، ومنصفا بإذن الله أقول إنني لم اتركهم لعلة أو لعيب اكتشفته فيهم أو لمأخذ أخذته عليهم وانما تركتهم لقدر قدره الله لي ولعل ذلك حصل تحت تأثير المراهقة وبعض الأمور الأخرى الخاصة بي.

أشهد أنني خلال مدة انتسابي للإخوان لم أر منهم إلا الخير... ولم أتعلم منهم إلا الخير... تعلمت المزيد من مبادئ الدين والعقيدة

السمحة. لم يوجهوني إلا لمحاسن الأخلاق وإلى البر والتقوى وإلى حسن المعاملة مع الناس ولم يريدوا لي أو لمن معي من الزملاء إلا التربية الحسنة التي يتمناها كل أب صالح لأبنائه.

من يدري لعلي لو استمريت معهم لكنت الآن من حفظة كتاب الله... لكن الحمد لله على كل حال، قدر الله وما شاء فعل، وإني أسأل الله ان يثبتني وأبنائي على دينه القويم وعلى حب المسلمين... المسلمون الذين يمثلون الإسلام الحق السمح إسلام الوسطية البعيد عن الغلو والذي جسده لنا رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم.

تعلمت من الشيخ فهمي رحمه الله دعاء كان يدعو به على المنبر في كل جمعة وإني أدعو به الآن

(اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه)

حضرت لأحد العلماء محاضرة قال فيها لكل جماعة من الجماعات الإسلامية جانبا من جوانب عظمة الإسلام نحن بأمس الحاجة إليه، رحمة وروحانيات جماعة التبليغ والدعوة، ثقافة الإخوان

المسلمين وتربوياتهم، عبادات الصوفية، سياسة التحرير وجهاديات السلفية فلو أنهم جميعا نبذوا ما بينهم من خلافات والتقوا فكرا وقلبا وقالبا واتحدوا في كيان واحد لشكلوا معا الإسلام المتكامل الذي نريد.



دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ١٦ — الوالدة ربنا يعافيها

النشر في المدونة ٤ مارس ٢٠٢١

من يستطيع أن يوفي للأم حقها أو للوالدين حقهما؟!! أي مذكرات وأي كتابات يمكنها إنصاف الوالدين، وأي مقالات تستطيع وصف ما قامت به أو ما قدمته لنا أمهاتنا؟!! جزا الله أمي عنا خير الجزاء وأعاننا الله على برها، أسأل الله لها العافية وللوالد الرحمة والمغفرة الواسعة، ربي اغفر لي ولوالدي ربي ارحمهما كما ربياني

صغيرا... قالوا في الأمثال «تربية الصبيان مثل قرط الصوان» (وأي صوان كنا؟!!). الصوان لمن لا يعرفه حجارة سوداء قاسية... مهاراتي في الكتابة لن تسعفني وستعجز حتما عن أن تصور لكم كيف (قرطوا لنا بالفعل الصوان) عن ماذا تراني سأحدثكم؟ عن الحمل وصعوبته في تلك الظروف القاسية، أم عن الولادة ومعاناتها في الظروف الأقسى، أم عن الكد أم عن الجد أم عن الصبر أم عن سهر الليالي؟ ذاك جيل رغم حرمانه من الكثير إلا أنه قدم وأعطى الكثير الكثير...

النظافة كانت منقطعة النظير، والترتيب ليس له وصف وليس له مثيل، والتربية وكأنما تتلمذوا في تربيتنا على يد ابن مسكويه أو ابن سحنون، أو كأنما قرأوا كل ما كتبه جون ديوي في التربية أو سعيد عبدالعظيم أو عبد الله علوان...

يوم أمهاتنا في تلك الفترة كان يبدأ مع الفجر، لا أظن أن واحدة من ذلك الجيل قد أشرقت عليها شمس الضحى نائمة، البيوت واسعة (يطارد فيها الخيال) ويعجز عن خدمتها فريق من الرجال، عجن وخبز وكنس وغسيل وكوي وطبخ وجلي و... و... كله كان يدويا، لا غسالات ولا ثلاجات ولا جلايات ولا موكيت ولا مكنسة

كهربائية، لا دراي كلين ولا بامبرز ولا دلفري ولا تطبيق طلبات ولا خادمات... غسيل المولود أو الرضيع لوحده كان قصة، ثلاثة أو أربعة حبال غسيل على عرض الحوش الكبير من شرائط المولود ناصعة البياض بعد إزالة قذارتها وغسلها باليد في صحن الغسيل... قدور النحاس والطناجر والسدور اللامعة تم جليها باليد وبدون جف ولا سيترس ولا منظفات... زجاج الشبابيك وبدون ايزي ولا بخاخات لا ترى عليه بصمة اصبع أو ذرة تراب، أرضية البيت الأسمنتية نظيفة براقة يمكنك رؤية صورة المار على صفحتها التي تم كنسها وتنظيفها وشطفها يدويا مرتين على الأقل في اليوم، حتى تراب الشارع تم تنظيفه...

عن ماذا سأحدثكم؟ عن طبخة الكرش مثلا التي كانت تشمر لها الوالدة وتجلس بالساعات الطوال مع بربيش الماء لتزيل ما بها بيديها وتغسلها مرة بعد مرة حتى تصبح كبياض الثلج قبل طبخها. عن ماذا أحدثكم؟ عن رعايتها واطعامها للاغنام وحلبها، عن رعايتها للارانب وللدجاج، أم عن تنسيقها لورودها ولمزروعاتها التي تستمتع لمحرد النظر اليها. إن الأمر أكبر من وصفي وأجل من كتاباتي ومن مذكراتي...

إليكم بعض المواقف والحوارات:

* يوم الجمعة:

(قبل الفطور، غسلت وجهك يا ولد وايديك مليح قبل ما تقعد؟ سميت قبل الأكل؟ قلت الحمد لله بعد ما شبعت؟ بعد الفطور، دير بالك تطلع، المي سخنت، روح طلع غياراتك من درج البيرو) البيرو: خزانة من ستة أدراج خشبية كبيرة، لكل فرد في العائلة درج يضع ويرتب فيه بجاماته وملابسه الداخلية وجواربه ترتيبا سيتم التفتيش عليه، حتى البجامات والملابس الداخلية تم كويها بيد الأم وبتلك المكواه اليدوية التي يُسخنها البابور . (يله اذا جبت ملابسك ادخل اتحمم، طبعا هذا بعد ان كبرنا وتجاوزنا الثامنة من العمر . (اسمع ليف راسك وجسمك مليح بالليفه والصابونة، صابونة النعامة، أقل شي ثلاث مرات... فاهم ثلاث مرات، وقص أظافرك في حوض الزريعة بعد ما تخلص) بعد الحمام وإذا كانت أيام صيف ستجد عند باب الحمام الثوب الأبيض والسروال الأبيض والطاقية البيضاء معطرة مبخرة وجاهزة (يله انت واخوانك روحوا صلوا صلاة الجمعة وارجعوا على طول عشان تتغدوا)

* حوار آخر حول (العيب)

لن يمر أي موقف أو تصرف خاطئ مرور السلام، إذا فتح الوالد رحمه الله الباب الخارجي قادما ولو من بعيد (قوم فز عيب عليك أبوك فتح الباب وبعدك قاعد، قوم لاقيه يمكن حامل أغراض) وأي موقف مشابه سيكون فرصة لأن تعيد الوالدة علينا لائحة العيب بأكملها (عيب تظل قاعد إذا الوالد واقف... عيب تمشي قدام الوالد... وعيب... وعيب...) أما فيما يتعلق بالطعام فهناك تعليمات أخرى (عيب تبدأ الأكل قبل الكبار، عيب تطلع صوت وانت بتوكل... عيب تتكلم وفي ثمك أكل...) وإذا الأكل منسف (عيب توكل بايديك الثنتين... عيب تمد إيدك عاللحم قبل الرز، عيب ما تفت لحم للي جنبك، إذا معك ضيف عيب تقوم عن الأكل قبل الضيف، و... و...) أما في الأمور العامة فاللائحة أيضا طويلة (عيب تكشر في وجه الضيف... عيب تتثاوب وعندك ضيوف سهرانين... عيب تسكر الباب في وجه إنسان مار... عيب تمد رجليك إذا قاعد قدامك كبير... عيب تكون قاعد في الباص وفيه ست أو بنت واقفة... عيب تتهاوش مع ست... عيب تقول بخاف... عيب الرجل يبكي... و... و...)

(وللحرام لائحة أطول يضيق المقام عن ذكرها)

اذا سمعت انك بتلعب فنه يا ويلك، الفنه حرام... اذا بتوخذ اشي مش الك حرام... اذا ما بتطعمي صاحبك في المدرسة حرام... و... و...

حادثة حصلت لي كان عمري فيها عشر سنوات تقريبا وكانت أيام عيد، سمعت في الشارع العام شابا ينادي قلى قلينا ع النبي صلينا... (اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، لم أكن ابدا اعرف ما هو القلى ولأول مرة أشاهد اللعبة) اقتربت ولما كانت عيديتي في جيبي، وتعلمت اللعبة بالمشاهدة بدأت ألعب، كنت كلما وضعت قطعة نقود على رقم جاء الزهر مطابقا له وربحت... فامتلات جيوبي نقودا، ورجعت للبيت فرحا مسرور... لكن فرحتي لم تدم طويلا وسروري تبعثر كثيرا... قالت الوالدة (من وين لك كل هالمصاري؟) اخبرتها بالقصة...(وعينك ما تشوف إلا النور) هاجت وماجت وقالت غاضبة وعاضة على يدها مع تهميرة مخيفة (عبد الله... بتلعب قمااار يا شين؟ والله لسلخ جلدك سلخ...) مثل ما الله خلقك وزي الطير الطاير بتروح وبترجع كل المصاري... وقد حصل، وراحت معها العيدية...

* الحوار الأخير (تدريس) رغم الأمية

بصعوبة بالغة كنا نجلس للدراسة والمذاكرة... إذا رجعنا للبيت رمينا الكتب من عند الباب الخارجي لتتزحلق الكتب على الأرض حتى تصتدم بما يوقفها... ونادينا من بعيد (يمااا شو غدانا!!!؟). وبعد الغداء مباشرة انطلقنا للحارة مع القلول أو الكرة أو البسكليتات، ولا نعود للبيت إلا بالاستدعاء القصري والبهدلة، عند عودتنا ومن عند الباب الخارجي تبدأ التعليمات (اشلح من رجليك من برا وشمر بنطلونك لفوق الركبة وغسل رجليك بالصابون، والبس حفايتك والبس بجامتك وجيب كتبك بسرعة وتعال سمّع دروسك... يمه والله حافظ... بعدين ما علينا اليوم دروس... بقولك انطم وتعال سمّع... يمه طيب بلاش الحفاية... ولا كلمة بقول وتعال سمّع... وهي الحفاية شايفها... جنبي... وإذا مو عاحبيتك الحفاية بجيب الحزام... لا خلص جاي... طيب يمه انت ماسكة الكتاب بالشقلوب... ما دخلك سد ثمك أشوف، أنا مخصوص ماسكته هيك... يله سمّع... ويبدأ سلخ الحفايات قبل التسميع).



دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ١٧ — الصوّان والفضيلة

النشر في المدونة ٧ مارس ٢٠٢١

قال عابر سبيل لرفيقه باستغراب وقد نظر من فوق ربوة تطل على مدينة معان وعلى سهول الصوّان المحيطة بها من جميع الجهات، ولأنه لا يعرف الكثير عن معان، ولأنه لم ير دخان مصانع يتصاعد من هنا وهناك، ولم ير أبراجا وعمارات ولم ير مسطحات خضراء شاسعة ولا غابات... قال لرفيقه وقد ظن أن أحدا لن

يسمعه، لا أدري كيف يعيش سكان هذه المدينة؟ وعلى ماذا يعتاشون؟ أنا بالصدفة سمعته، ولعل ما دفعه لهذا التساؤل هو منظر سهول الصوان السوداء، أسنة الرماح، القاسية، قلت له معذور أنت أيها الضيف الكريم، وساروي لك قصة مشابهة لهذا لكن قبل القصة ليتك تعلم يا سيدي أن تحت أديم الصوان الأسود هذا ثروات وثروات، تحته مناجم من الخيرات، تحته قلب أبيض حجر رخامي فاخر، إنه حجر سطح معان المعروف الذي تتزين به وتزهو قصور عمان ومنازلها . أما القصة يا ضيفنا فأنا قبلك مررت بنفس الموقف وحصل لي ما حصل لك من الدهشة والاستغراب، رايت يوما ومن بعيد واحدة من مدن المنطقة الشرقية السعودية وكنت حينها في طريق عودتي برا من الإمارات إلى الأردن، رأيت مدينة وقد اختفت معالمها بالكامل عن الأنظار بسبب عاصفة رملية غطتها، رأيت الطوز وهو يلفها ويطبق عليها من كل جانب ويرافق الطوز حرارة صيف الصحراء الحارقة، رغم اقترابي الشديد من المدينة إلا أن معالمها ظلت غائبة تحت تلك الرمال. فتعجبت مما رأيت، مثلك تماما يا عزيزي وتساءلت كيف يستطيع سكان هذه المدينة العيش؟ بل كيف يستطيعون حتى التنفس...؟ وما الذي

يحملهم على البقاء في هذه الأجواء القاسية؟ أوقفت سيارتي في أول استراحة للتزود بالوقود ولشراء المياه والعصائر، أحد أبناء تلك المدينة عندما سألته كيف تتحملون العيش هكذا؟ أي في هذه الظروف وهذه الحرارة اللاهبة والرمال اللافحة الخانقة... رد علي مستنكرا استغرابي ومستاء من سؤالي وقال بثقة (لو أعطونا جنات الدنيا بديلا عن مدينتنا المغبرة هذه ما قبلنا...)

إنه حب الوطن يا ضيفنا العزيز... ونحن أيضا نقول (لا نرضى بجنات الدنيا بديلة عن مدينتنا ولا عن صحرائنا ولا عن صوّاننا...) مذ رأينا نور الحياة رأينا هذا الصوان فألفناه وأحببناه، ترعرعنا معه وعشقناه... في أحضان هذه السهول القاسية والصحراء الجرداء نبتنا كما نبت شيحها وعجرمها وقيصومها، لفحتنا شمسها وغذتنا قيمها، نشأنا على العز ومكارم الأخلاق وتربينا على الرجولة والنخوة والفزعة واكرام الضيف، هذا الصوّان هو شقيق الفضيلة، هل سمعت يا عزيزي بعادة الفضيلة؟ تلك العادة المعانية الرمضانية التي يتبادل سكان المدينة فيها صحون الطعام تواصلا ومحبة... الفضيلة التي ترسخت وتطورت حتى غدت وسُميت في يومنا هذا... سبيل معان، سبيل الخير للعابرين وللمعتمرين

وللحجاج وللضيوف وللمحتاجين... هذه السهول القاسية يا ضيفنا هي سهول صوان لكنها في قلوبنا مروج نرجس واقحوان.

يا سيدي حب الوطن غريزة... والإنتماء له فطرة.



دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ١٨ — سيل معان، الفيضان

النشر في المدونة ١٠ مارس ٢٠٢١

في مثل هذا اليوم 10 مارس 1966 كنا مع الوالد رحمه الله مساء عند النجار زوزو رحمه الله ليضع اللمسات الأخيرة على تجهيز الشاحنه كحافلة لنقل حجاج معان . بقي على النجار تركيب زجاج الباب الخلفي، كانت المنجرة في وسط السوق، ولما تأخر الوقت قرر الوالد رحمه الله ترك الشاحنة عند النجار لصبيحة

اليوم التالي رجعنا للبيت فقالت الوالدة (سويت ورق دوالي للعشا خذ يا عبد الله هالصحن وديه لاختك...) أختي كانت من سكان الطور. قال الوالد (الدنيا ليل والساعة متأخرة وصعب على الولد) لكني أردت أن أثبت للجميع أنني لا أخاف من عتمة الطريق ولا من الكلاب فصممت على الذهاب، وهناك لم يسمحوا لي بالعودة فنمت في بيت الحاج أبو عربي رحمه الله. عند الساعة الخامسة صباح يوم ١١ مارس ١٩٦٦ يوم السيل استيقظ جميع سكان معان على صوت إطلاق العيارات النارية التي استخدمها الناس لإيقاظ بعضهم للنجاة من الفيضان... الطور منطقة مرتفعة، استيقظنا مع من استيقظ ووقفت مع الرجال الذين تجمعوا عند بيت أبو هلال كريشان الأكثر ارتفاعا والمطل على الشلالة وعلى المسجد القديم وعلى ظهر بعض دكاكين السوق .

مر السيل الجارف من تحتنا... ومرت أمام عيني، مشاهد قاسية مؤلمة يصعب نسيانها...

الجو عشية السيل كان صحوا . لكنه انقلب خلال ساعات ما قبل الفجر، فانهمرت كميات هائلة من الأمطار والناس نيام وتدفقت السيول على معان من كل صوب، فامتلات الأودية وفاضت بالمياه

الهادرة وعلت المياه الجسور ومع ضغط المياه الهائل انفجر سد البيارة واندفعت المياه العاتية باتجاه وسط مدينة معان والسوق والشلالة متجهة بما حملته معها إلى قيعان الجفر، اخذ السيل كل ما اعترض طريقه... وتهاوت أمام السيل منازل ومحلات معان الطينية.

مما رأيت من المشاهد القاسية والفواجع مجموعة من الحجاج داهمتهم المياه في مسجد معان القديم فصعدوا إلى السطح لكن المياه ارتفعت فصعدوا إلى صحن المئذنة لكن المسجد الترابي ما لبث ان انهار بهم، أحد أفراد عائلة الفران كان يركض مع مجرى الماء باكيا يصيح بأعلى صوته ينادي على اطفاله وأسرته الذين أخذتهم المياه الغادرة... امرأة مع طفلها على فراشهم لمحتهم بعد أن انهار منزلهم وقد اخرجتهم المياه لثوان قليلة تواروا بعدها عن الانظار... شيخ كبير فتح باب بيته فعاجلته المياه الجارفة... رحمهم الله جميعا وتقبلهم في الشهداء.

دكاكين السوق الطينية كانت تنهار الواحدة تلو الأخرى بينما انجرفت بضائعها مع المياه وبقيت واجهاتها الحجرية وأبوابها الحديدية صامدة باقفالها.

سيل معان أو كارثة معان أو ما بعرف بالفيضان أودى بحياة العشرات بل المئات من أهالي معان ومن حجاج بيت الله الحرام رحمهم الله جميعا وأسكنهم فسيح جناته.

مع صور الموت هذه... رايت صورة للحياة وللأمل، رأيت رجلا أقبل من بعيد تحمله المياه فوق برميل تشبث به... أقبل من هناك من خلال ما تهدم من سوق معان باتجاه الشلالة ثم باتجاه بساتين النخيل التي تحتنا في مجرى الوادي... تابعته بنظري فإذا به يختفي هناك كأنما سقط مع المياه في بئر... وسرعان ما خرج مع برميله تتقاذفه مقدمة السيل الهائج حتى وصل بقربنا تماما فامسك بعمود لكن المياه ارتفعت بسرعة إلى عنقه... فصاح به بعض الرجال أن امسك باحد ألواح الخشب الطافية... وفعل... فأخذه اللوح إلى نخلة قريبة جدا فتسلق عليها وجلس... بعد أن هدات الأمور ألقى الرجال له الحبال وسحبوه... خرج سالما غانما فرحا بنجاته وسمعتهم يتحدثون عن قلادة ذهبية وجدها الرجل معلقة على النخلة التي أنقذت حياته...

رحم الله ضحايا سيل معان وحفظ الله معان وأهلها ودامت معان عامرة مزدهرة ابية



دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ١٩ — خزعبلات الستينيات

النشر في المدونة ١٢ مارس ٢٠٢١

العادات الحسنة الطيبة كانت كثيرة والحمد لله ومع هذا كان الأمر لا يخلو في تلك الفترة من عادات سيئة ذميمة، فإذا مات الميت ارتفع صراخ النساء وعويلهن وفُتح بيت الميت لما يسمى (بالمبكاه) التي تتواصل فعالياتها لأربعين يوما على التوالي (تلحق الميت كما يقولون فطيرة أي موت وخراب ديار) . تتجمع النساء

في المبكاه يوميا ومنذ الصباح للبكاء وربما للنواح عند البعض، وتتضمن طقوس الأربعين هذه أياما تزداد فيها الفعاليات وتكثر فيها أعداد الحاضرات مثل (فكة العقدة) في اليوم الثالث ثم (السبوع) الأسبوع الأول فالثاني فالثالث... حتى نهاية الأربعين...

عند (طهور) الصبي كانوا يحتفلون احتفالا كبيرا يأخذون خلاله الصبي في موكب حاشد لزيارة المقامات (مقام الشيخ محمد ومقام الشيخ عبد الله وأم جديع) وأم جديع هذه وحدها كانت حكاية ورواية. هي صخرة بالقرب من بساتين الشامية وردت عنها وعن امراة سكنتها روايات كثيرة مختلفة الله أعلم بصحتها، لكن هذه الروايات رسخت عند بعض الناس قديما فكرة التبرك بهذه الصخرة فتراهم يذهبون للدعاء عندها أو لمباركة الصبي (المطهر) ويضعون لها الحنا ويحرقون لها البخور.

من العرافات امرأة مسنة رحمها الله كانت تزور البيوت لقراءة البخت والتنبؤ بالطالع وبالمستقبل معها قطع من الصدف (ودع) تلقيها على الأرض ثم تبدأ بخزعبلاتها، سامحها الله وغفر لها، أرجو ممن عرفها أن لا يُذكر اسمها في التعليقات...

ومن العادات الذميمة في ذلك الزمان (أم الغيث) كان الناس اذا تأخر عليهم المطر صنعوا ما يشبه حارس البستان لكنه أطول بكثير واستدعوا مجموعة من أطفالهم ليحملوا هذا الشيء معهم ويذهبوا باتجاه الأودية يطلبون بها المطر مغنين بصوت جماعي مرتفع

أم الغيث غيثينا

بلي شويشة راعينا

راعينا حسن الاقرع

لا بوكل ولا بشرب

ما يوكل غير الدود الدود

والعسل عنده ممدود...

الناس قديما كانوا بسطاء وكانوا كما يُقال على البركة وكانت الأمية متفشية فيهم، لكن وبفضل الله ومنذ زمن بعيد تخلص الناس من كل هذه الخزعبلات، فأم جديع أزيلت تماما من الواقع وحتى من الافكار وتم تدمير صخرتها، وقبور الشيوخ لم يعد لها من يزورها أو يتبرك بها، أصبح الناس بفضل الله أكثر وعيا وأكثر

فهما بأمور دينهم وعقيدتهم وأكثر التزاما خصوصا بعد انتشار التعليم وبعد جهود العلماء والوعاظ، فلا عرّافات ولا ودع ولا بخت ولا مبكاه ولا أربعين ولا نواح على ميت ولا أم الغيث ولا غيرها... بل حتى الأطفال تغيرت أناشيدهم فبدلا من أم الغيث غيثينا أصبحوا ينشدون

يا ربنا يا ربنا

تبعث مطر لزرعنا

هم الكبار اذنبوا

واحنا الصغار شو ذنبنا

وانشودة

امطري وزيدي

بيتنا حديدي

عمنا عبد الله

ورزقنا على الله



دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ٢٠ — سكرنا الدكانة وبطلنا نبيع

النشر في المدونة ١٥ مارس ٢٠٢١

تاجر معروف في معان رحمه الله كان إذا اجتمع عنده أكثر من أربعة أو خمسة زبائن في نفس الوقت (انعجق) وقلب كفتي الميزان وقال (خلص بطلت أبيع...) أنا ايضا ومع أنني كنت أخطط لأكتب لكم عن الكثير من ذكريات الستينيات... عن (الداية) التي ولّدت كل أطفال المدينة... عن (البياعة) التي كانت

تعوّض النساء عن النزول إلى السوق الذي لم تكن النساء تنزل إليه أبدا... عن ألعابنا وبالتفصيل من ألعاب القلول والروس إلى الكرة والحاب والطمية والكومستير... وعن سيارات الأسلاك وعن صيد العصافير بالفخاخ والخردق وعن المزقر... وكنت سأكتب لكم ومن باب التسلية والفكاهة عن بعض نوادرنا ومغامراتنا خصوصا مع أبناء العمومة سليم المختار وعدنان فارس، وعن رحلاتنا على الدراجات الهوائية في الليل إلى الطاحونة ورعب تلك الرحلات... أو عن مسابقات التحدي بيننا، وعن مختبر صناعات ابن العم سليم وعن اختراعاته... كنت أنوي أن أنقل لحضراتكم صورا اجتماعية إنسانية راقية اعتاد الناس عليها مثل فطور الزبال أو غداء العمال أو عونة الصبة... وعن خدمة الحجاج أثناء مرورهم وكيف تُفتح لهم كل الأبواب...

كنت سأكتب عن نجوم سطعت وتلألأت في سماء معان تلك الحقبة من علماء ووجهاء وشيوخ وأساتذة، لهم علينا وعلى بلدهم فضل كبير... كنت سأكتب عن رحلات القنص والرماية، أو عن العمل في الأشغال العامة (النافعة)، وعن انتظار فتية الحارة للراعي عند الغروب واستلام الأغنام منه، عن مجالس سمر رجال

الحارة وألعابهم (طاب يا عود، والسيجة) وعن تحليلاتهم السياسية أيام الحرب، كنت سأحدثكم كيف أن نصف أولاد الحارة كانوا أخوة في الرضاعة بسبب تلك الحميمية في العلاقات بين الجميع... حتى عن سلوم رحمه الله كنت سأكتب لكم وكيف كنا نلحقه إلى البر ونتابعه بأنظارنا من بعيد حتى نرى متى سيطير... وكنت سأكتب أيضا عن بائعة الصور والعطور الباكستانية (صوريه) رحمها الله... و... و... لكنني وأمام هذه الأحداث الجسام، وأمام ما يعج به الفيس بوك من وفيات وتعاز وبوستات سوداء وألم عميق، وأمام كل هذه الأجواء الحزينة الكئيبة، وأمام هذا الشعور العام بالخوف والقلق، فقد أحجمت، وفعلت كما فعل تاجرنا رحمه الله وقلبت كفتي ميزان دكانتي وأغلقت باب ذكرياتها، فليس هذا هو وقتها... أما اذا منّ الله علينا بزوال هذه الغمة عن البلاد وعن العباد وانتهت هذه الجائحة من الوجود وعادت بفضل الله المياه إلى مجاريها عند الجميع وعمت الناس الطمأنينة وظهرت على الوجوه الفرحة والابتسامة، وملأت البهجة صفحات الفيس... عندها وبإذن الله ستفتح دكانتي أبوابها لزبائنها الكرام...

المحتويات

الموضوع	الصفحة
دكانة عبد الله	٤
دكانة عبد الله — ذكريات الستينيات — مقدمة	٥
دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ١ — العز الذي مضى	٧
دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ٢ — مرحلة البسطات	١٠
دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ٣ — دكان الطين	١٣
دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ٤ — أسلوب تربية... ولفتات	١٦
دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ٥ — المُهرب الصغير	٢٠
دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ٦ — لا هارودز ولا منكو ولا كارفور	٢٤
دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ٧ — قبل البيع وقبل الشراء	٢٨
دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ٨ — سعيد قيشو وصلاة الفجر	٣٢
دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ٩ — كل الحنين إلى بيوت الطين	٣٧
دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ١٠ — عن الثقة الزائدة	٤١
دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ١١ — جيرانا جايبين تلفزيون وشبكة دولية	٤٦
دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ١٢ — مصطبة الدكان	٥٢
دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ١٣ — وائل و عبد الله	٥٧
دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ١٤ — جانا الهوى جانا	٦٣
دكانة عبد الله - ذكريات الستينيات ١٥ — الإخوان المسلمون	٦٨

المحتويات

الموضوع	الصفحة
دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ١٦ — الوالدة ربنا يعافيها	٧٢
دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ١٧ — الصوّان والفضيلة	٧٩
دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ١٨ — سيل معان، الفيضان	٨٣
دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ١٩ — خزعبلات الستينيات	٨٧
دكانة عبد الله، ذكريات الستينيات ٢٠ — سكرنا الدكانة وبطلنا نبيع	٩١